وأنه أرسل رسوله A للتذكير با وما عنده فينتفع من يخشى فيفلح ويصدف عن الذكرى من كان شقيا فيكون جزاؤه النار الكبرى وأولئك هم الذين صدهم عن التذكر إيثار حب ما هم فيه في هذه الحياة .

وأدمج في ذلك الإشارة إلى دلائل قدرة ا تعالى وبديع صنعه .

(والليل إذا يغشى [1] والنهار إذا تجلى [2] وما خلق الذكر والأنثى [3] إن سعيكم لشتى [4]) افتتاح الكلام بالقسم جار على أسلوب السورتين قبل هذه وغرض ذلك ما تقدم آنفا .

ومناسبة المقسم به للمقسم عليه أن سعي الناس منه خير ومنه شر وهما مماثلان النور والظلمة وأن سعي الناس ينبثق عن نتائج منها النافع ومنها الضار كما ينتج الذكر ذرية صالحة وغير صالحة .

وفي القسم بالليل والنهار التنبيه على الاعتبار بهما في الاستدلال على حكمة نظام ا في هذا الكون وبديع قدرته وخص بالذكر ما في الليل من الدلالة من حالة غشيانيه الجانب الذي يغشاه من الأرض . ويغشى فيه من الموجودات فتعمها ظلمته فلا تبدو للناظرين لأن ذلك أقوى أحواله وخص بالذكر من أحوال النهار حالة تجليته عن الموجودات وظهور على الأرض كذلك .

وقد تقدم بيان الغشيان والتجلي في تفسير قوله (والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) في سورة الشمس .

واختير القسم بالليل والنهار لمناسبته للمقام لأن غرض السورة بيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة .

وابتدئ في هذه السورة بذكر الليل ثم ذكر النهار عكس ما في سورة الشمس لأن هذه السورة نزلت قبل سورة الشمس بمدة وهي سادسة السور وأيامئذ كان الكفر مخيما على الناس إلا نفرا قليلا وكان الإسلام قد أخذ في التجلي فناسب تلك الحالة بإشارة إلى تمثيلها بحالة الليل حين يعقبه ظهور النهار ويتضح هذا في جواب القسم بقوله (إن سعيكم لشتى) إلى قوله (إذا تردى) .

وفي قوله (إن سعيكم لشتى) إجمال يفيد التشويق إلى تفصيله بقوله (فأما من أعطى) الآية ليتمكن تفصيله في الذهن .

وحذف مفعول (يغشى) لتنزيل الفعل منزلة اللازم لأن العبرة بغشاية كل ما تغشاه ظلمته .

وأسند إلى النهار التجلي مدحا له بالاستنارة التي يراها كل أحد ويحس بها حتى البصراء .

والتجلي : الوضوح وتجلي النهار : وضوح ضيائه فهو بمعنى قوله (والشمس وضحاها) وقوله (والضحى) .

وأشير إلى أن ظلمة الليل كانت غالبة لضوء النهار وأن النهار يعقبها والظلمة هي أصل أحال أهل الأرض وجميع العوالم المرتبطة بالنظام الشمسي وإنما أضاءت بعد أن خلق ا الشمس ولذلك اعتبر التاريخ في البدء بالليالي ثم طرأ عليه التاريخ بالأيام .

والقول في تقييد الليل بالظرف وتقييد النهار بمثله كالقول في قوله (والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) في السورة السابقة .

و (ما) في قوله (وما خلق الذكر والأنثى) مصدرية أقسم ا بأثر من آثار قدرته وهو خلق الزوجين وما يقتضيه من التناسل .

والذكر والأنثى : صنفا أنواع الحيوان . والمراد : خصوص خلق الإنسان وتكونه من ذكر وأنثى كما قال تعالى (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) لأنه هو المخلوق الأرفع في عالم الماديات وهو الذي يدرك المخاطبون أكثر دقائقه لتكرره على أنفسهم ذكورهم وإناثهم بخلاف تكون نسل الحيوان فإن الإنسان يدرك بعض أحواله ولا يحصي كثيرا منها .

والمعنى : وذلك الخلق العجيب من اختلاف حالي الذكورة والأنوثة مع خروجهما من أصل واحد وتوقف التناسل على تزاوجهما فألقسم بتعلق من تعلق صفات الأفعال الإلهية وهي قسم من الصفات لا يختلف في ثبوته وإنما اختلف علماء أصول الدين في عد صفات الأفعال من الصفات فهي موصوفة بالقدم عند الماتريدي أو جعلها من تعلق صفة القدرة فهي حادثة عند الأشعري وهو آيل إلى الخلاف اللفظي .

وقد كان القسم في سورة الشمس بتسوية النفس أي خلق العقل والمعرفة في الإنسان وأما القسم هنا فبخلق جسد الإنسان واختلاف صنفيه وجملة ('ن سعيكم لشتى) جواب القسم .

والمقصود من التأكيد بالقسم قوله (وما يغني عنه ماله إذا تردى) .

والسعي حقيقته : المشي القوي الحثيث وهو مستعار هنا للعمل والكد .

A E